إيبارشيَّة لوس أنجلوس بالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة

المحاضرة الرَّابعة

اجتماع الشَّباب بكنيسة مار يوحنَّا الحبيب بكوفينا Covina

مساء الجُمعة ٢٠١٤/٣/١٤م

المفهوم اللِّيتورجي للتَّذكار أو الذِّكرى
وغاية القُدَّاس الإلهي

مقدِّمة ٢

أوَّلاً: المفهوم اللِّيتورجي للتَّذكار أو الذِّكرى ἀνάμνησις – Anamnesis ٢

ثانياً: الغاية العظمى من إقامة الذَّبيحة الإلهيَّة، أن تكون الكنيسة، كنيسة واحدة ٤

الرَّاهب أثناسيوس المقاري

مقدِّمة

أكلمكم بمعونة الرَّب عن مفهوم الذِّكرى في الكنيسة، بحسب منطوق القُدَّاس الإلهي: ''هذا اصنعوه لذكري''. ثمَّ عن الغاية العظمي من إقامة الذَّبيحة الإلهيَّة، بحسب وصيَّة الرَّب.

أوَّلاً: المفهوم اللّيتورجي للتَّذكار أو الذِّكرى ἀνάμνησις – Anamnesis

+ إنَّ الأمر الإلهي للرُّسُل القدِّيسين: ''اصنعوا هذا لذكري'' (لوقا ٢٢:١٩ ؛ ١كورنثوس ١١:٢٤، ٢٥) كان وراء إقامة الإفخارستيَّا لتميم أمر الرَّب. وهو أمر معروف في كافة اللّيتورجيَّات بعد كلمات التَّأسيس.

+ ونسمع في القُدَّاس الإلهي أيضاً: ''**في كل مرَّة**، تأكلون ... وتشربون ... تبشِّرون بموتي، وتعترفون بقيامتي، وتذكرونني إلى أن أجيء''. وتأتي هذه الكلمات كأنها من فم الرَّب نفسه. ولكن قائلها هو القدِّيس بولس الرَّسول (١كورنثوس ١١:٢٦): «لأنَّ كل مرَّة أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرَّب إلى أن يجيء». فلقد وضع آباء الكنيسة كلمات بولس الرَّسول، كأنها كلمات المسيح نفسه، معتمدين على قول الرَّسول: «إذ أنتم تطلبون بُرهان المسيح المتكلِّم فيَّ» (٢كورنثوس ١٣:٣).

والآن علينا أن نبحث معنى الذِّكرى في المفهوم اللّيتورجي

ينبغي أن نعرف أنَّ الكَّلمة اليونانيَّة ἀνάμνησις (أنامنيسيس) تفيد معنى يصعُب أن يوجد في أيِّ لغة أُخرى، مثل الإنجليزيَّة أو العربيَّة أو غيرهما، إذ أنَّ المفردات اللُّغويَّة لهذه اللُّغات لا تعطي المعنى الحقيقي الدَّقيق لما تعنيه الكَّلمة اليونانيَّة.

ففي اللُّغة الإنجليزيَّة مثلا، هناك كلمات مثل memorial أي ''تذكار''، أو remembrance ''تذكُّر أو ذكرى''، تفيد بالنِّسبة لنا مفهوماً ذهنياً صرفاً، أو أمراً وقع في الماضي ولم يبق منه سوى ذكرى ذهنيَّة فقط. وهو نفس المعنى الذي تعنيه الكَّلمة في اللُّغة العربيَّة. أمَّا كلمة ἀνάμνησις (أنامنيسيس) اليونانيَّة، فهي على العكس من ذلك، إذ تعني ''**استحضار حدث ما أمام الله كان قد وقع في الماضي، ولكن ما زال فعله أو أثره ممتداً في الزَّمن الحاضر**''.

فمثلاً في سفر الملوك الأوَّل، نقرأ أنَّ أرملة صرفة صيدا بعد أن مات ابنها، تشتكي إيليا النَّبي، لأنه جاء إليها ليذكِّرها بخطيئتها (أمام الله)، ولذلك مات ابنها. فتقول له: «... هل جئتَ إليَّ لتذكير إثمي ἀναμνῆσαι ἀδικίας μου (لله) ...» (١ملوك ١٧:١٨).

وكذلك أيضاً نقرأ في سفر العدد، عن التَّقدمة التي تُقدِّمها الزَّوجة التي تُتَّهم بارتكاب خطيئة الزِّنا، أنَّ تقدمتها هي: «تقدمة تذكار تذكِّر ذنباً θυσία μνημοσύνου ἀναμιμνήσκουσα ἁμαρτίαν » (عدد ٥:١٥). فإذا كانت المرأة قد ارتكبت الخطيئة فعلاً، فإنَّ خطيئتها سوف تُفتضح من خلال تقديم الذَّبيحة أو التَّقدمة.

ولذلك فإنَّ الأصحاحَين التَّاسع والعاشر من رسالة العبرانيِّين، يوضحان أنَّ الذَّبائح الخاصة بناموس العهد القديم، لم تكن قادرة على محو الخطيئة، بل كانت بالحري تذكاراً ἀνάμνησις سنوياً لها. أو في الحقيقة ''استدعاءً لها – Recall''. فنقرأ في رسالة العبرانيِّين عن أنَّ تقديم الذَّبائح «فيها كلُّ سنة ذكر ἀνάμνησις خطايا» (عبرانيِّين ١٠:٣). لأنه لو كانت هناك مغفرة للخطايا والتَّعديات «لا يكون بعد قُربان عن الخطيئة» (عبرانيِّين ١٠:١٨). أي أنه لو كان هناك غُفران للخطيئة بواسطة هذه الذَّبائح، فلم يكن من داع لتقديم هذه الذَّبائح مراراً وتكراراً. ولقد أوضح فيلو المؤرِّخ اليهودي أنَّ الذَّبائح المقدَّمة عن الخطايا لم تكن غفراناً لها، بل إعادة تذكُّر لها[1].

وعلى ذلك نخلُص إلى أنَّ مفهوم تذكُّر الخطيئة أمام الله بواسطة الذَّبيحة، يعني استمرار فعلها في الحاضر. وهذا ما تعنيه الكَّلمة

1- *De Vita Moys*. ii. 107.

اليونانيَّة ἀνάμνησις . وهكذا يتَّضح لنا جلياً المعنى المقصود من قول الرَّب: «لـــن أذكـــر οὐ μὴ μνησθήσομαι خطايـــاهم وتعدِّياتهم فيما بعد» (عبرانيين ١٠:١٧)، فتعبير «لن أذكر» يعني ''لن استحضر أمامي خطاياهم وتعدِّياتهم مرَّة أُخرى''.

وإن انتقلنا إلى عبارة: ''هذا اصنعوه لذكري'' كما وردت على فم الرَّب نفسه عند تأسيسه لسرِّ الإفخارستيَّا[٢]، والتي ترد بالتَّالي في كافة اللّيتورجيَّات تقريباً بعد كلمات التَّأسيس. أو بحسب تعبير أنافورا هيبوليتس: ''وعندما تصـــنعون هـــذا، اصنعوه لذكري''[٣]، نجد أنَّ كلمة ''التَّذكار – Recal'' لا تختص بتذكار العشاء الأخير فحسب، وإنما أيضاً بتذكار مـــوت المسيح وقيامته. وبذلك يتأكَّد لنا معنى التَّذكار وأهميَّته.

ويقول الدُّكتور برايتمان Dr. Brightman إنَّ البصخة (الفصح) لم تكن تذكاراً لآلام السيِّد المسيح فحسب، ولا لقيامته فقـــط، وإنما لكلا الحدثَين معاً. أي تذكار ''المسيح الذي مات بل بالحري قام أيضاً''، الذي ''وضع حياته ليأخذها أيضاً''، الذي ''مـــات من أجل خطايانا، وأُقيم من أجل تبريرنا''. وبالإجمال هو عيد الفداء المسيحي، كما كان عيد الفصح اليهودي هو عيد الفداء اليهودي. فالله وبمبادرة منه، خلَّص إسرائيل القديم من عبوديَّة فرعون، واتَّخذه شعباً مختاراً لنفسه، وهو نفسه الله الذي خلَّص إسرائيل الجديد من عبوديَّة الشيطان، وجعل كنيسته أهلاً لأبوَّته.

وفي صلاة الأنافورا لهيبوليتس (٤:٧، ٨) نقرأ:
''... الذي تمَّم إرادتك، وأعدَّ لك شعباً مقدَّساً، وإذ بسط يديه للألم أعتق الذين قد آمنوا بك من الألم. الذي أسلم ذاته للألم طواعية، ليبيد الموت، ويحطِّم قيود إبليس، ويطأ الجحيم تحت قدميه، ويقود الأبرار إلى النُّور، ويؤسِّس النِّظام، ويُظهر القيامة''.

ففداء المسيح لنا، قد تمَّ بواسطة آلام المسيح مرتبطة بقيامته. وحتى القرن الرَّابع الميلادي لم يكن العالم المسيحي يحتفـــل بتذكار آلام الرَّب في يوم الجُمعة العظيمة منفصلاً عن قيامته في يوم الأحد، ليكون اليوم الأوَّل يوم حُزن، واليوم الآخر يـــوم فرح، كما في طقسنا الحالي. **ففكرة الاحتفال بهذه التَّذكارات في دورة تاريخيَّة خلال أسبوع البَصخة تعـــود إلى ظهـــور المراسيم الطَّقسيَّة في القرن الرَّابع في كنيسة أورشليم، ومنها أخذت تنتشر تدريجياً وببطء إلى كافة أنحاء العالم المسيحي.**

وانطلاقاً من هذا المعنى، نجد أنَّ المعموديَّة هي شركة سريَّة في موت الرَّب وقيامته معاً، وهي بحسب تعليم القدِّيس بولس الرَّسول كانت تُمنح في ليلة عيد الفصح فقط (باستثناء الحالات الخاصة)، لأنَّ المعمَّدين الجُدُد، كانوا يحتفلون سنوياً بتذكار واحد للموت والقيامة معاً، موت وقيامة المسيح، وموتهم وقيامتهم في المسيح[٤].

+ وينبغي أن نلاحظ أننا في الإفخارستيَّا، نصنع ''لا موت الرَّب'' الذي ماته على الصَّليب مرَّة واحدة، ولكن ''**ذكـــر موته**'' بحسب منطوق اللّيتورجيَّا: ''ففيما نحن **نصنع ذكر آلامه المقدَّسة** ...''. ولأنَّ فعل موت الرَّب كبقيَّة أفعاله الخلاصيَّة الأُخرى (القيامة والصُّعود ... الخ)، هو فعلٌ واحدٌ ممتد أبداً عبر كلِّ زمان، ولا يحويه الزَّمن. فدمُ المسيح لازال يطهِّر كـــلَّ خطاة الأرض حتى اليَوم، وسوف يُطهِّر أيضاً إلى التَّمام، كلَّ الملتجئين إليه بالإيمان. إذاً، فتذكار موت الرَّب وقيامتـــه، هـــو قبولٌ واشتراكٌ في موته وقيامته، بالأسرار التي أودعها الرَّبُّ كنيسته.

+ كلُّ أفعال المسيح الخلاصيَّة التي فعلها في الجسد، في مكان ما، وفي زمن ما، كانت في فكر الآب منذ الأزل. ولأنهـــا أفعال ذات قيمة إلهيَّة لانهائيَّة بسبب اتحاد اللاَّهوت بالنَّاسوت في المسيح، ولذلك فهي تمتد لتشمل كلَّ الأزمان، وأيَّ مكان.

+ الحُب الذي قدَّمه المسيح لنا على الصَّليب هو حبٌ متَّصل بالحُب الأزلي بين الآب والابن. أي من قبل تأسيس العالم. «فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي **بروح أزلي** قدَّم نفسه لله بلا عيب، يطهِّر ضمائركم من أعمال ميِّتـــه، لتخـــدموا الله الحي» (عبرانيِّين ٩:١٤). «لأنك أحببتني قبل تأسيس العالم» (يوحنَّا ١٧:٢٤).

+ القُدَّاس الإلهي هو نفسه عشاء الخميس، وهو نفسه ذبيحة الصَّليب يوم الجُمعة لأنها ذبيحة واحدة متصلة.

٢- انظر: لوقا ٢٢:١٩
٣- التَّقليد الرَّسولي ٤:١٠
4- Gregory Dix, *The Treatise on The Apostolic Tradition of St. Hippolytus of Rome*, London, 1968, p. 73, 74.

+ يقول القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم: [إن الأسرار الموضوعة أمامنا ليست من عمل إنسان. **فالذي أقامها في ذلك الزَّمان، في ذلك العشاء،** هو نفسه الذي يقيمها الآن. وأمَّا نحن فلسنا سوى خُدَّام للطَّقس، ولكنَّه هو نفسه الذي يقدِّس القرابين وينقلها ... فنحن الآن في العِلِّيَّة حيث كانوا مجتمعين في ذلك الزمان][5].

+ **وخُلاصة القول هي: أنَّ كلَّ ذكر يختص بالله، هو بالضَّرورة اشتراك في حضوره.** لأنَّ الله حاضرٌ في كلِّ زمان ومكان. فعندما نذكر أمراً زمنياً، تكون الذِّكرى له، هي مجرَّد استرجاع لأحداث تختص به، طواها الزَّمن، ولم يبق غير ذكراها. لأنَّ الزَّمن قادرٌ أن يطوي فيه كلَّ ما هو زمني، لأنه خاضع له. أمَّا ذكر الإلهيَّات، أو الأمور المختصَّة بالله، فهو شيءٌ يختلف تماماً. لأنَّ الله وما يخصّه من أفعال وصفات، لا يخضع للزَّمن، ولا يمكن أن يحتويه الزَّمان.

ثانياً: الغاية العظمى من إقامة الذَّبيحة الإلهيَّة، أن تكون الكنيسة، كنيسة واحدة

+ **يقول الكاهن:**
– اجعلنا مستحقِّين كلَّنا يا سيِّدنا أن نتناول من قُدساتك **تقديساً** لنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا. لكي نكون جسداً **واحداً** وروحاً **واحداً**. ونجد **نصيباً وميراثاً** مع كافة قدِّيسيك الذين أرضوك منذ البدء.

– "نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لكي إذ طهرتنا كلَّنا، **تؤلِّفنا بك من جهة تناولنا من أسرارك الإلهيَّة،** لكي نكون مملوئين من روحك القدُّوس".

– "اجعلنا أهلاً بغير وقوع في دينونة، أن نتناول من جسدك المقدَّس ودمك الكريم، وليصيِّرنا تناولنا من أسرارك المقدَّسة **واحداً معك إلى الانقضاء، وباركنا**".

+ فنحن نتناول من أجل: **التَّقديس والوحدة ودخول الملكوت.** وهو نفس قول الرَّب بعد أن أسَّس سرّ الإفخارستيَّا: «قدِّسهم في حقِّك» (يوحنَّا ١٧:١٧). و«ليكون الجميع واحداً فينا» (يوحنَّا ٢١:١٧). «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني» (يوحنَّا ٢٤:١٧).

إنَّ أهم الصِّفات التي تتَّصف بها الكنيسة في النُّصوص اللِّيتورجيَّة التي نُصلِّي بها كلَّ يوم، هي أنها "**كنيسةٌ واحدة مقدَّسة جامعة رسوليَّة**".

هي **كنيسة واحدة،** لأنَّ طلبة المسيح إلى الآب من أجلها هي: «ليكون الجميع واحداً». وهي **كنيسة مقدَّسة،** لأنَّ الله الآب اقتناها لنفسه بدم ابنه يسوع المسيح، لتكون كنيسة مجيدة لا عيب فيها ولا دنس. كما نقول في صلواتنا اللِّيتورجيَّة: "هذه التي اقتنيتها لك بالدَّم الكريم الذي لمسيحك". وهي **كنيسة جامعة** لأنَّ غايتها العظمى كما أرادها المسيح لها، هي أن تجمع أبناء الله المتفرِّقين إلى واحد. كما نقول كلَّ حين عنها في صلواتنا: "هذه الكائنة من أقصاء المسكونة إلى أقصائها". فحيث يكون المسيح فهناك تكون الكنيسة الجامعة[٦]. وهي **كنيسة رسوليَّة،** لأنَّها ممتدة عبر كلِّ العُصور، والمسيح هو رأس الزَّاوية فيها، وبناؤها قائم على أساس الرُّسُل والأنبياء. حيث يوضح البابا أثناسيوس الرَّسولي أنَّ الكرازة بالثَّالوث القدُّوس هي إيمان الكنيسة، وعملها بحسب وصيَّة الرَّب يسوع، وعلى مدى العُصور. فيقول:

> [الربُّ حينما أرسل الرُّسُل، أوصاهم أن يضعوا هذا الأساس للكنيسة قائلاً: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس» (مت ٢٨ : ١٩). فمضى الرُّسُل وهكذا عملوا. وهذه هي الكرازة إلى كلِّ الكنيسة التي تحت السماء.][٧].

هذه هي كنيسة العهد الجديد، جسد المسيح، وتكميلُ رسالته. هي ميناء المبحرين السَّاعين إلى الوطن الأفضل السَّمائي،

---

[5]- PG 58, 744,28-39.

عظة ٥:٨٢ على إنجيل متى.
[٦]– الشَّهيد إغناطيوس الأنطاكي، أزمير ٨
[٧]– رسائل القدِّيس أثناسيوس عن الرُّوح القُدُس، ٢٨:١

والطَّريقُ الوحيد لبلوغ السَّماء. لأنَّه إن كان المسيح له المجد هو الطَّريق الحقيقي للحياة، فلا يمكن الوصول إليه إلاَّ عبر الكنيسة. ''نعم نسألك أيها المسيح إلهنا، ثبِّت أساس الكنيسة''.

هذه هي الكنيسة التي يدعوها الشَّهيد إغناطيوس الأنطاكي (٣٥-١٠٧م): ''كنيسة الله الآب وربِّنا يسوع المسيح'' (مقدمة الرِّسالة إلى فيلادلفيا). أمَّا هدف الكنيسة الوحيد، فهو الخلاص في المسيح.

وسوف أركِّز حديثي فيما يلي عن الكنيسة، ككنيسة واحدة جامعة.

نؤمن منذ يوم معموديَّتنا وعلى مدى حياتنا، مردِّدين قانون الإيمان كلَّ يوم، **بكنيسة واحدة ... جامعة**. فلماذا لم تصبح الكنيسة كنيسة واحدة جامعة حتى اليَوم؟

إنَّ وحدانيَّة الكنيسة، ليست أهم صفات الكنيسة فحسب، بل هي جوهر وكيان الكنيسة. فكما نقول: إنَّ «الله محبَّة»، هكذا يمكننا أن نقول: إنَّ الكنيسة هي وحدة في المحبَّة، أي وحدة في الله. وبدون وحدة لا تكون الكنيسة كنيسة. إنها كنيسة لأنها هي جسد المسيح، وجسد المسيح هو اتحاد جميع الأعضاء ببعضهم البعض.

- يتساءل القدِّيس كليمندس الرُّوماني[٨] قائلاً:

[لماذا تكون بينكم مشاحنات واضطرابات وانشقاقات وانقسامات بل ومحاربات؟ **أليس لنا إلهٌ واحد ومسيحُ واحد وروحُ نعمة واحد منسكب علينا جميعاً ودعوة واحدة في المسيح؟** فلماذا نقسِّم ونمزِّق أعضاء المسيح، ونُعادي ذات نفس جسدنا الخاص؟ بل ونصلْ إلى هذه الدَّرجة من الهذيان حتى نتناسى أننا أعضاءُ بعضنا للبعض؟ ... فلنُعرض عن ذلك بسرعة، ونخر أمام ربِّنا ونبكي، متوسِّلين إليه ليكون رحيماً نحونا، ويُصالحنا ويُرجعنا إلى ممارستنا الأولى المقدَّسة الطَّاهرة للحُب الأخوي] (الرِّسالة إلى أهل كورنثوس ٤٦، ٤٨).

- ويقول القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م):

[الإنسان المُلهم من الله يُدين **صانعي الانقسام الفارغين من محبَّة الله، الذين يهتمون بمصلحتهم الشَّخصيَّة وليس بوحدة الكنيسة**، الذين لأتفه الأسباب يُمزِّقون ويُقسِّمون الجسد العظيم والمجيد الذي للمسيح، ويفنونه على قدر ما يستطيعون. الذين يتكلَّمون عن السَّلام ويصنعون الحروب، الذين «يُصفُّون عن البعوضة ويبلعون الجمل». لأنه لا يمكن أن يأتي منهم أيُّ إصلاح ذي قيمة، يوازي الخسارة الفادحة النَّاتجة من الانقسام] (ضدَّ الهرطقات ٤:٣٣:٧).

ويرى القدِّيس إيريناؤس أنه لا يمكن أن تكون الكنيسة واحدة، بدون الإيمان بأننا نلنا نفس الرُّوح القُدُس الواحد، فيقول في ذلك:

[**الرُّوح (القُدُس) يجمع في الوحدة** القبائل المتخالفة، ويقدِّم للآب باكورةً من جميع الأمم، وهذا هو ما وعد به الرَّب أن يُرسل الباراقليط الذي **يؤلِّفنا مع الله. فكما أنه يستحيل أن يصير الدَّقيق الجاف عجيناً واحداً ولا خبزاً واحداً بدون ماء، هكذا نحن الكثيرين لا يمكن أن نصير واحداً في المسيح يسوع بدون ذلك الماء (الرُّوح السَّمائي!)**] (ضدَّ الهرطقات ٣:١٧:٢).

ويؤكِّد القدِّيس إيريناؤس على أنَّ الوحدة لا تكون في الكنيسة إلاَّ بالرُّوح القُدُس الواحد. فيقول:

[كما أنَّ نفخة الله قد حلَّت في الجُبلة الأولى، هكذا استؤمنت الكنيسة على عطيَّة الله (أي الرُّوح القُدُس)، حتى باشتراك جميع الأعضاء فيه، ينالون منه الحياة. وفي الكنيسة اذُّخرت **الشَّركة مع المسيح، التي هي الرُّوح القُدُس عينه**، عُربون عدم الفساد وثبات إيماننا، والسلَّم الصَّاعد إلى الله ... **لأنه حيث تكون الكنيسة، يكون روح الله؛ وحيث يكون روح الله، تكون الكنيسة وكلُّ موهبة**. والرُّوح هو حق، ولذلك فالذين لا يشتركون فيه لا يرضعون ثدي أمهم (الكنيسة) لينالوا الحياة، ولا يرتشفون من الينبوع الصافي الذي ينبع من جسد المسيح] (ضد الهرطقات ٣:٢٤:١).

---

[٨]- هو رفيق القدِّيس بولس الرَّسول في رحلاته التَّبشيريَّة (فيلبي ٤:٣). وقد شاهد الرَّسولَين بطرس وبولس، وأخذ عنهما. ورأس كنيسة روما من عام ٩٢ إلى عام ١٠١ ميلاديَّة، فهو الثَّالث من أساقفة روما بعد القدِّيس بطرس. ولكنَّنا لا نعلم الشَّيء الكثير عنه.

• ويقول الشّهيد إغناطيوس الأنطاكي (٣٥-١٠٧م):
[إني أمتدح الكنائس، وأُصلّي، لتكون لها وحدة في جسد وروح يسوع المسيح، الذي هو حياتنا الدّائمة، **وحدة الإيمان والحُب التي تفوق كلّ شيء**] (الرّسالة إلى مغنيسيا ١)

[عندما تجتمعون بمواظبة، تنحل قوّات الشيطان، ويبطُل الفساد الذي يدبّره لنا، **بتآلف إيمانكم**] (أفسس ١٣).

[من النّافع لكم أن تكونوا في وحدانيّة بلا لوم، حتى تكونوا أيضاً على الدّوام في شركة مع الله] (أفسس ٤).

[اهربوا من الانقسامات، لأنها بداية كلّ الشُّرور] (أزمير ٧).

كما يرى الشّهيد إغناطيوس أيضاً أنّ الوحدة مع الأُسقُف، هي صورة وحدة الكنسيّة مع المسيح، والمسيح مع الآب، فيقول:
[أنتم المتّحدون معه (مع الأُسقُف) مثل اتحاد الكنيسة بالمسيح، ومثل اتحاد المسيح بالآب، حتى يأتلف الكُل في الوحدة ... إذا كان لصلاة اثنَين معاً قوّة، فصلاة الأُسقُف والكنيسة أقوى] (أفسس ٥).

[اخضعوا للأُسقُف وليخضع بعضكم لبعض، كما أنّ يسوع المسيح كان خاضعاً لأبيه، والرُّسُل للمسيح وللأب، حتى يتم الاتحاد بالجسد والرُّوح] (مغنيسيا ١٣).

[ثابروا على الاتحاد بإلهنا يسوع المسيح وبالأُسقف وبوصايا الرُّسُل] (ترالیان ٧).

ويقول القدّيس إغناطيوس الشّهيد في رسالته إلى القدّيس بوليكاربوس الأُسقُف:
[ابذل جهدك في سبيل الوحدة، لأنه لا خير يفوقها] (بوليكاربوس ١).

• ويقول القدّيس يوحنّا ذهبي الفم (٣٤٧- ٤٠٧م):
[إن كان صانعو السّلام يُدعَون أبناءُ الله، فالذين يخترعون الخصومات يكونون أبناء إبليس ... فإنّ كثيرين يُسرُّون بالشّر، ويمزّقون جسد المسيح بقسوة تفوق ما فعله الجنود الذين طعنوه بالحربة، واليهود الذين سمّروه بالمسامير] (عظة ٣ على رسالة كولوسي).

• وفي ذلك تقول الدّيداخي – تعليم الرُّسُل – منذ نهاية القرن الأوّل الميلادي:
''عند اجتماعكم يوم الرّب، اكسروا الخُبز واشكروا، بعد أن تكونوا قد اعترفتم بخطاياكم، لكي تكون ذبيحتكم طاهرة. **لا يجتمع معكم كلُّ من له منازعة مع صاحبه حتى يتصالحا، لئلاّ تتنجّس ذبيحتكم**'' (فصل ١٤).

* * *

والآن ما هو التّطبيق الفعلي والعملي، لكي نمارس هذه الوحدة التي للكنيسة في حياتنا اللّيتورجيّة؟

لقد استقرَّ في التّقليد الأرثوذكسي منذ البداية، أنه لا تُقام غير ذبيحة واحدة للقُدّاس الإلهي في المكان الواحد وفي الوقت الواحد. وهو ما يعرف باسم ''وحدة اللّيتورجيّا''.

فغاية القُدّاس الإلهي، هي أن نصير جميعاً جسداً واحداً وروحاً واحداً. وبدون هذه الغاية العظمى، ينتفي معنى إقامة الإفخارستيّا. فمن الملاحظات البديهيّة التي يعرفها الكُل، أنّ صلاة الإفخارستيّا أي القُدّاس الإلهي، هي صلاة تُقام من أجل وحدة الجماعة كلّها، أو الشّعب كلّه. ولذلك فنداءات الشّمّاس كلها تأتي بصيغة الجمع. والمردّات المصاحبة للصّلوات، يتصدّرها تنبيه هو: 'يقول الشّعب'. فما معنى إقامة الذّبيحة المقدّسة بواسطة كاهن ومعه شمّاس، وفي الخارج واحد أو اثنان أو حتى ثلاثة؟ بينما الباقون غائبون. وما معنى إقامة أكثر من قُدّاس في المكان الواحد، وفي الوقت الواحد؟

فلأنّ المسيح الواحد يحلُّ في جميع أعضاء الكنيسة بالإفخارستيّا، لذلك، فالإفخارستيّا هي سرُّ وحدة الكنيسة. المسيح نفسه عبَّر عن هذا في صلاته بعدما أسّس هذا السِّرَّ العظيم. فبعدما وزّع جسده على الاثني عشر قال مخاطباً الآب: «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد». واضحٌ جداً أنّ قوله: «أنا فيهم» بعد أن أعطاهم جسده، جاء نتيجة طبيعيّة مباشرة لحلول جسده في كلّ واحد منهم. وكنتيجة مباشرة أيضاً، أنهم يكونون «مكمَّلين إلى واحد». عبارة لها صدى لآية من أجمل

ما يمكن في سفر أعمال الرُّسُل: «كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أع٢٠: ٢٨).

وفي ذلك يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) :

[إننا نحن جميعاً إذ نتناول μεταλαμβάνοντες من الرَّب الواحد بعينه، نصير جسداً واحداً، إذ يكون لنا في أنفسنا الرَّبُّ الواحد][٩].

ويشرح القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) ذلك الأمر فيقول:

[لكي يوحِّدنا ابن الله بنوع ما مع الله، ومع بعضنا البعض، بل ويمزجنا بعضنا ببعض، على الرَّغم من كوننا مفترقين في نفوسنا وأجسادنا بسبب الكيان الذّاتي لكلٍّ واحد، ابتكر وسيلةً، بحكمته الخاصة وبمشورة الآب؛ **إذ بارك المؤمنين به في جسدٍ واحدٍ هو جسده الخاص، وذلك بالتناول السرِّي، وجعلهم بذلك جسداً واحداً معه ومع بعضهم البعض.** فمَنْ يقدر أن يفصل ويفصم من هذا الاتحاد النافذ إلى عمق الطَّبيعة، أولئك الذين ارتبطوا بالوحدة في المسيح بهذا الجسد المقدَّس الواحد؟! لأننا إن كنَّا كلنا «نشترك في الخبز الواحد» (١كو١٠: ١٧)، فإننا **نكون جميعاً جسداً واحداً بالتَّمام، لأنَّ المسيح لا يمكن أن ينقسم!**] (شرح إنجيل يوحنَّا ١٧: ٢٠و٢١).

ويقول القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم (٣٤٧- ٤٠٧م):

[«الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟» بعد أن قال «شركة جسد» أراد أن يبيِّن ما هو أوثق، لذلك أردف: «فإننا نحن الكثيرين خبزٌ واحدٌ جسدٌ واحدٌ». وكأنه يقول: لماذا أتكلَّم بعد عن «شركة الجسد» بينما نحن ذلك الجسد بعينه؟ لأنه ما هو الخبز؟ جسد المسيح. وماذا يصير المتناولون؟ جسد المسيح. فليس هناك أجساد عديدة بعد، بل جسد واحد. **فكما أن الخبز يصير واحدًا من حبات كثيرة مجتمعة حتى أن الحبَّات لا تكون ظاهرة مع أنها موجودة، لأن الفرق بينها غير واضح بسب الاتحاد، هكذا نحن أيضًا نتحد بعضنا مع بعض ومع المسيح.** لأنك لا تأكل أنت من جسدٍ وغيرك من جسدٍ آخر، بل الجميع يأكلون من الواحد بعينه. ولذلك أضاف: «لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد». فإن كنا جميعًا نشترك في الواحد، بل ونصير هذا الواحد عينه، فلماذا لا نُظهِر أيضًا المحبة الواحدة، فنصير بذلك أيضًا واحدًا؟ لأنه هكذا كان قديمًا في زمن آبائنا الأوائل، إذ يقول: «كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة» (أع ٤: ٣٢)] (عظة ٢٤ على شرح ١كو ١٠: ١٧).

ويقول البابا كيرلُّس الثَّاني (١٠٧٨- ١٠٩٢م) في قوانينه:

"يجب على الكهنة والعلمانيِّين ألاَّ ينصرفوا إلى شيء من أمور العالم في يوم الأحد، لا بيع، ولا شراء، ولا عمل يعملونه. بل يلازموا البيعة والصَّلوات وسماع الوصايا والقوانين. ولا يتكلَّم أحدٌ منهم في أوقات القُدَّاسات، إلى أن يتناولوا السَّرائر المقدَّسة. فمن اعتمد ذلك، فالرَّب سُبحانه يبارك عليه".

ويقول البابا غُبريال بن تُريك (١١٣١-١١٤٥م) في مجموع قوانينه:

"الذي لا يَحضُر إلى البيعة في هذه الأيام المقدَّسة (يومي السَّبت الأحد)، ليسْمَعَ الكلام عن القيامة، الذي فيه تتمُّ كُتُبَ الصَّلوات، وبشارة الأناجيل، وقُدَّاس القُربان، وموهبة الآب المقدَّسة، كيف لا يكون عَدُواً لله؟" (البَاب الثَّالث عشر).

وتقول الدِّسقوليَّة في الفَصل العاشر:

"علِّم يا أُسقُف الشَّعبَ وأمرهم بملازمة البيعة كلَّ يوم بُكرة وعشيَّة، لكي لا يتخلَّفوا عنها البتَّة بل يجتمعون إليها كلَّ وقت **فلا تنقص الكنيسة بتخلُّفهم عنها، ولا تدع جسد المسيح ناقصاً من أعضائه.** لم نذكر هذا من أجل الكهنة فقط بل ولأجل الشَّعب ليلتفت كلُّ واحد إليه ... ولا تخرجوا عن الاجتماع في البيعة ولا تتفرَّقوا بإرادتكم، **لأنكم أعضاءُ المسيح وهو رأسكم ... لا تتوانوا ولا تقتلعوا من مخلِّصنا ما له من الأعضاء. ولا تُفرِّقوا جسده ولا أعضاءه** ... فإنه يجب عليكم أن تجتمعوا (في يوم الأحد) في البيعة ... فإن لم تفعلوا فما هو الجواب الذي تجيبون الله به؟ ... بماذا يجيب الله مَنْ ينسى ويتأخَّر عن الكنيسة المقدَّسة التي لله؟ وإذا احتجَّ واحدٌ بعمل يد، وتوانى لأجله، واحتجَّ بحجج خطاياه، فليعلم هذا أنَّ صنعة المؤمنين

٩- ضد الأريوسيِّين ٣:٢٢ *N. P. N. F.* 406 والفعل μεταλαμβάνω يعني في الاصطلاح الكنسي: التَّناول من الإفخارستيَّا.

عندهم نافلة، أمَّا عملهم فهو عبادةُ الله. أسرعوا ولا تتأخَّروا عن كنيسة الله أبداً''.

ويقول القانون الأربعون من قوانين البابا أثناسيوس الثَّاني (٤٨٩-٤٩٦م):

''**لا يقلق أحدٌ من الكهنة، عندما يريد أن يُقدِّس قبل أن يجتمع الشَّعب**، ويسمعوا الليلويا. لأنه مكتوبٌ أنَّ «**مجدُ الملك بين جموع كثيرة**»[١٠]. والذي يفرِّق ويبدِّد شعب الله من أجل رضى النَّاس، الله يُفرِّقه. من أجل هذا لا تستح أيها الكاهن من قوم، ولكن **طوِّل روحك حتى يجتمع الشَّعب**. لأنَّ الإنجيلي متى يقول: «لَّما رأى يسوع الجموع، صعد إلى الجبل»[١١] ليُصلِّي. ومرقس يقول: «إنَّ جموع المدينة اجتمعوا إلى باب البيت، **ولَّما امتلأ البيت**، كشفوا سقف الموضع الذي كان فيه يسوع، ودلُّوا المريض إلى أسفل حتى أبرأه»[١٢]. فلا يقلق أحدٌ من الكهنة في قُدَّاسِه حتى يُكمِّله بهدوء''.

ويقول قانون الرُّسُل (٥٢:١):

''... لتقف الإيبودياكونات عند أبواب النِّساء، ويقف شمامسة على أبواب الرِّجال، لئلا يخرج أحد. ولا يفتحوا الأبواب في وقت القُدَّاس الطَّاهر، ولو كان على الباب مؤمن ... وليصرخ شمَّاس آخر: لا يقف ههنا موعوظ، أو واحد من السَّامعين لا يشترك في الأسرار، ولا أحد من غير المؤمنين، ولا أحد من الهراطقة. أيتها النِّساء امسكن أولادكن، ولا يدع أحد في قلبه وجَداً على آخر، ولا يقف أحدٌ ههنا برياء. كونوا مستقيمين إلى الرَّب، ولنقف بخوف ورعدة''.

ويقول قانون الرُّسُل (٦:٢):

''إذا لم يتناول أُسقُف أو قسيس، أو واحد من الإكليروس من القربان في وقت القُدَّاس ويقول السَّبب في ذلك، فإن كان لائقاً، فليُغفر له، وإذا لم يقُل السَّبب فليُفرَّق[١٣]، لأنه صار سبباً لأن يخطئ الشعب، إذ جعلهم يشكُّون في الذي رفع القرابين أنه لم يقدِّمها بطهارة''. (القانون ٨)

ويقول قانون الرُّسُل (٧:٢):

''كلُّ المؤمنين الذين يدخلون إلى الكنيسة ويسمعون الكُتُب، ولا يقفوا ليكمِّلوا الصَّلوات، وينالوا من القُربان المقدَّس، ويُصلَّى عليهم[١٤]، يجب أن يُفرَّقوا، لأنهم يفعلون شقاقاً[١٥] وتشويشاً[١٦] في الكنيسة. (القانون ٩).

وهناك طلبة في القُدَّاس الكيرلُّسي تشرح الوحدة الكائنة بين أعضاء الكنيسة، حتى الغائبين منهم، لأسباب خارجة عن إرادتهم وليس لشيء آخر. حيث يقول الكاهن في القُدَّاس المرقسي: ''اذكر يا ربُّ كلَّ الذين أوعزوا إلينا أن اذكرونا''. فيقول الشَّمَّاس: ''اطلبوا عن كلِّ الذين أوصونا أن نذكرهم في سؤالاتنا وطلباتنا، كلِّ واحد باسمه، لكي المسيحُ إلهُنا يذكرَهم بالخير في كلِّ حين، ويغفر لنا خطايانا''.

١٠- أمثال ٢٨:١٤

١١- متى ١:٥ ، ٢٣:١٤

١٢- مرقس ٢-٢:٥

١٣- (فليُحرم) في المراسيم الرسولية = (فليُفرَّق) في الكنيسة القبطية = (فليُقطع من الشركة) في الكنيسة اليونانية.

١٤- عبارة (ويُصلىّ عليهم) لم ترد سوى في القوانين القبطية، ويبدو أنها صلاة تقال على المؤمنين بعد التناول من الأسرار المقدَّسة، أو ربما كانت هي صلاة البركة الأخيرة.

١٥- كلمة (شقاقاً) لم ترد سوى في قوانين الرسل القبطية.

١٦- انظر: قانون الرسل (١١:٥٢:١)